خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

٢٠

إمتحان لا مثيل له

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

ودَخلتْ (مريمُ) إلى مَكتبِ المُطالعة في الجَامعةِ ، فَرأتْ صَدِيقتَها (روضة) مُنهمِكةً في التَّفتيشِ عنْ شيءٍ مَا ، فَتقدَّمتْ مِنها وسَألتْها عن ذَلكَ..

فقالتْ لَها: نَحنُ نَجتمعُ كُلَّ ليلةٍ بعدَ العِشَاءِ ، ويَتقدَّمُ واحدٌ منَّا لِقراءةِ حديثٍ نَبوِيٍّ.. ثُمَّ نتنَاقَشُ حَولَ ذلكَ الهَدْيِ الرَّائعِ... ولَقدْ أصبحْنَا مُقتنِعينَ بأنَّ هُناكَ فَوائدَ عَظيمةً لِتلكَ الجَلسةِ ، وأنَا أُفتِّشُ عنْ حِكايةٍ من حِكاياتِ رَسولِ اللهِ ﷺ لأنقلَها إلى أفرادِ العَائلةِ.

فَقالتْ (مريمُ): الأمرُ في غَايةِ البَساطَةِ ، تَعالي إلى قِسمِ كُتبِ الأحَاديثِ الشَّريفةِ..

وبِالفعل سَارتْ (مَريمُ) مَعِ صَديقَتِها (روضة) حَتَّى إذَا مَا وصَلتَا إلى أمَامِ ذَلكُم القِسمِ ، مدَّتْ (مريم) يَدَهَا إلى أَحَدِ الكُتبِ وأَخذتْهُ ، ورَاحتْ تَبحثُ في فَهرسِهِ ، ثُمَّ فتَحتْ عَلى القِصَّةِ التِّي أعْجبتْهَا ، وابتسمَتْ وهِي تنظُرُ إلى صَديقتِها ، ثُمَّ قالتْ: هَذهِ حكايةٌ رائعةٌ..

وحَملتْ (روضةُ) الكِتابَ ، فَإذَا هُو صَحيحُ البُخَارِيِّ ، وقَرأتْ هَذا الحَديثَ الشَّريفَ ، ثُمَّ نقلتْهُ إلى دَفترِها:

عَنْ أبِي هُريرَةَ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقَولُ:

«إنَّ ثَلاثةً مِن بَنِي إسرائيلَ ، أَبرصَ ، وأَقرعَ ، وأَعْمَى ، أرَادَ اللهُ أنْ يَبتليَهمُ ، فبَعثَ إليهم مَلَكاً فَأتى الأبرصَ ، فَقالَ:

أيُّ شيءٍ أَحبُّ إليكَ؟

قَالَ: لَونٌ حَسنٌ، وجِلدٌ حسنٌ، ويَذهبُ عَنِّي الذَّي قدْ قَذرَنِي[1] النَّاسُ، فَمَسحهُ فذَهَبَ عنهُ قَذَرُهُ، وأُعطِيَ لَوْنَاً حَسَناً.

فَقالَ: فأيُّ المَالِ أحَبُّ إليكَ؟

قالَ: الإبلُ، فَأُعْطِيَ نَاقةً عشراءَ[2].

فأتَى الأقرعَ: فَقالَ: أيُّ شَيءٍ أَحبُّ إليكَ؟

قالَ: شَعرٌ حَسَنٌ، ويذهَبُ عَنِّي هذا الَّذي قَذرني النَّاسُ، فَمَسَحَهُ، فذهَبَ عنه، وأُعْطِي شَعْراً حَسَناً.

قال: فأيُّ المالِ أَحَبُّ إليك؟

قالَ: البَقرُ، فأُعطِيَ بَقرةً حَامِلاً، وقَالَ:

---

(١) أي: كرهني.

(٢) أي: حامل.

بَارَكَ اللهُ لكَ فِيها.

فَأتَى الأَعمى: فَقالَ: أيُّ شَيءٍ أحبُّ إليكَ؟

قالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ بَصرِي فأُبصِر النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إليهِ بَصرَهُ.

قالَ: فأيُّ المَالِ أحَبُّ إليكَ؟

قالَ: الغَنمُ، فَأُعطيَ شاةً وَالِداً، فأَنتَجَ هَذَا، وَولَّدَ هَذَا، فَكانَ لِهذَا وَادٍ مِنَ الإبلِ، وَلِهذَا وَادٍ منَ البَقَرِ، ولِهذَا وادٍ منَ الغَنمِ.

ثُمَّ إنَّهُ أتَى الأَبرصَ في صُورَتهِ وهَيئتِهِ، فقَالَ:

رجُلٌ مِسكينٌ، فَقدِ انقَطعتْ بِيَ الحِبالُ في سَفري، فلا بلاغَ[1] لِيَ اليومَ إلاَّ باللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسألُكَ بالَّذي أعطاكَ اللَّونَ الحَسَنَ، والجِلْدَ

---

(١) أي: لا وصول إلى مكاني.

الحَسنَ والمَالَ ، بَعيراً أتبلَّغُ بِهِ في سَفرِي.

فَقال: الحُقوقُ كَثِيرةٌ.

قَالَ: كَأنِّي أعرِفُكَ ، أَلمْ تَكُنْ أَبرَصَ يَقذرُكَ النَّاسُ؟! فَقِيراً فأعطاكَ اللهُ؟!

فَقالَ: إنَّما وَرِثْتُ هَذا المَالَ كَابِراً عنْ كَابرٍ!!

فَقالَ: إنْ كُنتَ كَاذِباً فَصيَّرَكَ[1] اللهُ إلى مَا كُنتَ.

وأتَى الأَقرَعَ فِي صُورَتِهِ وهيئتِه ، فَقالَ لَهُ مِثلَ مَا قالَ لِهذا ، وَرَدَّ عَليهِ مِثلَ مَا ردَّ هذَا.

فَقالَ: إنْ كُنتَ كَاذِباً فصَيَّرَكَ اللهُ إلى مَا كُنتَ.

وأتَى الأَعمَى في صُورتِهِ وهيئَتِهِ ، فقالَ: رَجلٌ مِسكينٌ ، وابنُ سَبيلٍ انقطعتْ بِيَ

---

(١) أي: أعادك مرة أخرى إلى ما كنت عليه.

الحِبالُ[1] فِي سَفرِي ، فلا بَلاغَ لِي اليومَ إلاَّ باللهِ ، ثُمَّ بِكَ ، أسألك بِالَّذي ردَّ عَليكَ بَصرَكَ شاةً أتَبَلَّغ بِهَا في سَفرِي؟

فقالَ: قَدْ كُنتُ أَعْمَى فَردَّ اللهُ إليَّ بَصرِي ، فَخُذْ مَا شِئتَ ، ودَعْ مَا شِئتَ ، فَواللهِ لاَ أُجهِدُكَ[2] اليومَ بشيءٍ أَخَذْتَهُ للهِ عزَّ وجلَّ.

فَقالَ: أمسِكْ مَالَكَ ، فَإنَّما ابتُليتُم ، فَقدْ رَضِيَ اللهُ عَنكَ ، وسَخطَ عَلَى صَاحِبيْكَ».

أَجَلْ!

لَقَدْ صَدَق اللهُ تَعالَى بِقولِهِ:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

---

(١) أي: انقطعت بي الأسباب.

(٢) أي: لا أشق عليك في رد ما تأخذه.

لكِنْ هَلْ مِنْ مُعتَبِرٍ؟!

واعتَدَلَ (أبُو الخَيرِ) وقَال:

آهٍ مَا أَجْمَلَهَا مِن قِصَّةٍ نَبوِيَّةٍ، حَيثُ فِيها العِبَرُ والفَوائِدُ الكَثِيرةُ.

فَاللهُ امتحَنَ الثَّلاثةَ بِالمرضِ والفَقرِ، ثُمَّ ابتلاهُم وامْتحنَهُمْ بِالمالِ والصِّحةِ، ثُمَّ أرسَلَ إليهم مَلَكاً تمثَّلَ بِهيئةِ كُلِّ وَاحدٍ مِنهُم ـ في حَالتِهِ الأُولَى ـ لِيرَى كَيفَ يَكونُ رَدُّ فِعلِهِ؟

هَلْ يُساعِدُ الفَقيرَ والمحتاجَ؟

وهَلْ يَعطفُ عَلَى الضَّعيفِ والمِسكِينِ؟

ولَكنَّ ـ ولِلأسفِ ـ كَثيراً منَ النَّاسِ يَبطرُونَ بِنعمِ اللهِ تَعالى، فالله يَمُدُّ النَّاسَ بِالنِّعمِ

الكَثيـرَةِ ، وعليهـم أنْ يُقـابلُـوا ذلـكَ بِشيئيـنِ اثْنَيْنِ:

أوَّلاً: التَّحدُّث بِنعمةِ اللهِ ، مِصداقُ ذَلكَ قَولُ اللهِ تَعالَى مُخاطِباً رَسولَهُ مُحمَّداً ﷺ:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

وفي مَكانٍ آخرٍ يقولُ تَعالى:

﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠].

أيْ: لاَ تغْفُلُوا عَنْ نِعمَتي الَّتِي أنعمتُ بِها علَيكُمْ ولا تناسُوها ، بَلْ اذكُرُوهَا وتَحدَّثُوا بِها ، وانسُبُوهَا لِمنْ وَهَبها لَكُم سُبحَانَهُ وتَعالَى.

وقدْ وردَ فِي حِكايةِ نَبيِّ اللهِ سُليمانَ عليهِ السَّلامُ:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ

وَٱلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

والتَّحدُّثُ بِنعمِ اللهِ يَعنِي أَيضاً التَّمتُّعَ بِها ضِمنَ دَائرةِ الحَلالِ ، وذلكَ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ قالَ في ذَلَك «إنَّ اللهَ يُحبُّ أنْ يَرَى أثَرَ نِعمتِهِ عَلَى عَبدِهِ».

وقَالتْ (أُمُّ الخَيرِ): عُذرَاً... فَماذَا عَنِ الَّذينَ يَجحدُون نِعَمَ اللهِ سُبحانَهُ؟

فَقالَ (أبُو الخيرِ): أمَثالُ هَؤلاء يُقابِلُونَ الإحسَانَ بِالإساءَةِ ، وذَلِكَ لأنَّ اللهَ يُنعِمُ عَليهِمْ بِالنِّعَمِ فَيُقَابِلُونَ ذلكَ بِالجحودِ والإنْكَار ، ومعَ أنَّهم يَعرِفونَ أنَّها مِنْ عِندِ اللهِ ، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

والجَاحِدُونَ لِنِعمِ اللهِ تَعالَى لاَبُدَّ وَأنْ

يَأتِيهُمُ العَذابُ مِنْ قِبلِهِ سُبحانَهُ ، قَالَ اللهُ تَعالَى:

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

ثَانياً: الشُّكرُ ، بِحيثُ يُظهِرُ العَبدُ نِعَمَ اللهِ عَليهِ ، ليحمدَهُ ويَشكُرَهُ ، وبالتَّالِي فَالشُّكرُ لَهُ مَنزِلةٌ رَفيعةٌ ، كَمَا قَالَ العلاَّمةُ ابنُ القَيِّم:

إنَّ الإيمانَ شَطرَانِ هُمَا الصَّبرُ والشُّكرُ.

ومَا أكثرَ الآياتِ القُرآنيَّة الَّتي تَحُضُّ عَلَى فَضِيلةِ الشُّكرِ ، مِثالُ ذلكَ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

والمُهِمُّ أنَّ الشُّكرَ يُقابِلُهُ الجُحُودُ والكُفرُ ، يُؤيِّدُ ذَلكَ قَولُهُ تَعالَى:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

ولَكنَّ الكَثيرَ مِنَ النَّاسِ، غَافِلونَ وجَاهِلونَ، قالَ اللهُ تَعالَى:

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

نَسألُ اللهَ تَعالى أنْ يَجعلَنَا نَتعاملُ مَعَ نِعَمِهِ حَسبَ الكِتابِ والسُّنَّةِ.

الأبْرصُ سَقطَ في الامتحَانِ!!

وعلَّقَ (صُهَيبٌ) عَلَى ذَلكَ بِقولِهِ:

فَالرَّجُلُ الذي أُصِيبَ بمرضِ البَرصِ، إلى جَانِبِ الفَقرِ وَكُرْهِ النَّاسِ لَهُ، جَاءَ مَلَكٌ مِن عِندِ اللهِ، فَمَسحَ عَلَى جِسْمِهِ فَشَفَاهُ اللهُ تَعَالَى.. وأصبَحَ مُعافًى ويَملِكُ إبِلاً كَثيرَةً.

ودَارَ الزَّمَنُ دَورَتَهُ ، وجَاءَهُ المَلَكُ عَلَى هَيئَةِ رَجُلٍ فَقيرٍ أَبرصَ ، وطَلبَ مِنهُ المَالَ القَليلَ ، فَطَردَهُ ونهَرَهُ وقَالَ: عَليَّ التزاماتٌ كَثيرةٌ.

فَمَا كَانَ مِنَ المَلَك إلاَّ أنْ دَعا اللهَ أنْ يُعيدَهُ إلى مَا كَانَ عَلَيهِ ، وكَانَ ذَلكَ.

وكَذلِكَ كَانَ حَالُ الأَقْرعِ!!

وعَلَى نَفْسِ المِنوَالِ سَارَ الأَقرعُ: حَيثُ رفضَ إعطاءَ السَّائلِ الَّذي جَاءَهُ المَلَكُ فَمسحَ عَلَى رَأسِهِ ، وأُعطِيَ شَعْراً حَسَناً وبقَرةً حَامِلاً ، فَأنتَجَتْ هَذِهِ البقَرةُ ، وأَصبحَ غَنيَّاً يملِكُ وَادِياً مِنَ البَقَرِ.

ودَارَ الزَّمنُ دَورَتَهُ ، وجَاءَ المَلَكُ عَلَى هَيئَةِ رَجلٍ فَقِيرٍ أَقرَعَ..

فَقَامَ بِنفسِ الدَّورِ الَّذي قَامَ بِه الأَبرَصُ ، فَدَعَا اللهَ عَلَيهِ ، فَعَادَ فَقِيراً أَقرَعَ!!

وبَارَكَ اللهُ لِلأعْمَى!!

تَابَع (صُهيبٌ) القَولَ:

وَلكِنَّ الأَعمى كَانَ شَيئاً آخرَ..!

لقدْ جَاءَهُ المَلَكُ عَلَى صُورَتِهِ قَبلَ أنْ يُبْصِرَ فَسَألَهُ مِنْ مَالِ اللهِ تَعَالَى ، فَلم يُنكِرْ نِعمةَ اللهِ عَليهِ ، وأرَادَ أنْ يُعطِيهِ الكَثيرَ مِنْ مَالِ اللهِ ، ولكنَّ المَلَكَ قَالَ لَهُ: أَنَا لا أُرِيدُ مَالاً ، وإنَّمَا أرَادَ اللهُ أنْ يَمْتحِنَكَ ، وقدْ نَجَحْتَ في الامْتِحَانِ فبَارَكَ اللهُ لَكَ...

فَقالتْ (أُمُّ الخَيرِ): أَجلْ يَا أَوْلادِي ، فَهلْ جَزَاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحسْانُ؟

وبِالشُّكرِ تَدُومُ النِّعَمُ.

.. نَسألُ اللهَ أنْ يَجعلَنا مِنَ الحَامِدينَ الذَّاكِرينَ الشَّاكِرينَ.

وهَكذا كَانتْ نِهايةُ هَذهِ الجَلساتِ المُباركَةِ ، وعَلى مَائِدَةِ خَيرِ الهَدْيِ هَدْي المُصْطَفَى ﷺ.

ولَقدْ أخذتْ (دَانية) منْ والدِها ووالدَتِها العَهدَ أنْ يُخَطِّطُوا لِلحَديثِ عَنْ سَلاسِلَ أُخرَى.

وآخِرُ دَعْوَانا أن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين